أبو هريرة الحافظ الثقة

حفظه ودفاعه عن نفسه

يعتد أبو هريرة رضي الله عنه بحفظه كثيراً ، ويثق بنفسه وثوقاً كبيراً ؛ فلا يجد حرجاً في أن يقول : (إني لا أعرف أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون احفظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مني .) [1] وذلك لأنه أفرغ ذهنه للحفظ في سنوات مصاحبته للرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي ذلك يقول : (صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين لم أكن في شيء أحرص مني أن أحفظ شيئاً في تلك السنين ؛) [2] ، وفي لفظ آخر : (ما كنت سنوات قط أعقل مني ولا أحب إلي أن أعيَ ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم مني فيهن .) [3] .

وقد ولّد له هذا الحرص والحفظ حيازة حديث كثير رأى نفسه معه أنه أكثر الصحابة حديثاً خلا عبدالله بن عمرو بن العاص ، فيقول : (ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثاً عنه مني ، إلا ما كان من عبدالله بن عمرو ، فانه كان يكتب ولا أكتب .) [4] ، وفي لفظ أبي جعفر الطحاوي : (فاني كنت أعي بقلبي ، وكان يعي بقلبه ويكتب بيده ، استأذن النبي صلى الله عليه وسلم فأذن له .) [5] .

---

(١) ابن سعد ٣٣٢/٤ بسند صحيح ؛ الدارمي ٨٦/١ بسند صحيح ايضاً .

(٢) مسند الحميدي ٤٥٥/٢ بسند صحيح ، مسند الامام أحمد ١٤٤/١٥ بسند صحيح ايضاً .

(٣) ابن سعد ٣٢٧/٤ بسند صحيح

(٤) البخاري ٣٨/١ ، الترمذي ٢٢٨/١٣ ، ١٣٦/١٠ ، مسند احمد ١١٩/١٣ ، الدارمي ١٢٥/١

(٥) معاني الآثار ٣٨٤/٢

و (هذا استدلال من أبي هريرة على ما ذكره من أكثرية ما عند عبدالله بن عمرو ، أي ابن العاص ، على ما عنده . ويستفاد من ذلك أن أبا هريرة كان جازماً بأنه ليس في الصحابة أكثر حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم منه إلا عبدالله، مع أن الموجود المروي عن عبدالله ابن عمرو أقل من الموجود المروي عن أبي هريرة بأضعاف مضاعفة . فان قلنا : الاستثناء منقطع ، فلا إشكال ، إذ التقدير : لكن الذي كان من عبدالله ، وهو الكتابة ، لم يكن مني ، سواء لزم منه كونه أكثر حديثاً ، لما تقتضيه العادة ، أم لا . وان قلنا : الاستثناء متصل ، فالسبب فيه من جهات .

أحدها : أن عبدالله كان مشتغلاً بالعبادة أكثر من اشتغاله بالتعليم ، فقلت الرواية عنه .

ثانيها : أنه كان أكثر مقامه بعد فتوح الأمصار بمصر أو بالطائف . ولم تكن الرحلة اليهما ممن يطلب العلم كالرحلة إلى المدينة ، وكان أبو هريرة متصدياً فيها للفتوى والتحديث إلى أن مات ، ويظهر هذا من كثرة من حمل عن أبي هريرة ، فقد ذكر البخاري أنه روى عنه ثمانمائة نفس من التابعين ، ولم يقع هذا لغيره .

ثالثها : ما اختص به أبو هريرة من دعوة النبي صلى الله عليه وسلم له بأن لا ينسى ما يحدثه، كما سنذكره قريباً .

رابعها : أن عبدالله كان قد ظفر في الشام بحمل جمل من كتب أهل الكتاب ، فكان ينظر فيها ويحدث منها ، فتجنب الأخذ عنه لذلك كثير من أئمة التابعين . والله أعلم .) [1] .

ويلاحظ أن إذن النبي صلى الله عليه وسلم لعبدالله بن عمرو بن العاص بكتابة الحديث وارد بأسانيد صحيحة في مسند أحمد [2] .

وقول أبي هريرة : لا أكتب (قد يعارضه ما أخرجه ابن وهب من طريق الحسن بن عمرو بن أمية ، قال : تحدث عند أبي هريرة بحديث ، فأخذ بيدي فأرانا كتباً من حديث النبي صلى الله عليه وسلم وقال : هذا هو مكتوب عندي . قال ابن عبد البر : حديث همام [3] أصح ، ويمكن الجمع بأنه لم يكن يكتب في العهد النبوي ، ثم كتب بعده .) [4] ، لكن (أقوى من ذلك أنه لا يلزم من وجود الحديث مكتوباً عنده أن يكون بخطه ، وقد ثبت أنه لم يكن يكتب ، فتعين أن المكتوب عنده بغير خطه .) [5] .

والراجح عندي أنه لم يصح تدوينه للحديث ، والحاكم ، وإن روى رواية أخرى مفادها أنه كانت له كتب يراجعها إذا نسي حديثاً ، إلا أن الذهبي قال معقباً : (هذا منكر لم يصح .) [6] ، ويؤيده ما أخرجه

---

(١) فتح الباري ٢١٧/١
(٢) المسند ٢١/١٠ ، ١١/٦٣/١٥٧/٢١٤
(٣) اي الذي يقول فيه لا اكتب ، وهمام هو راويه عنه
(٤) الفتح ٢١٧/١
(٥) نفس المصدر
(٦) المستدرك ٥١١/٣

الدارمي عنه أنه قال عن نفسه : (لا يكتب ولا يكتّب .) [1] . بتشديد وكسر تاء الثانية . أي لا هو يكتب بيده ولا يملي على غيره . وربما عنى : ولا يلتمس من غيره أن يكتبوا له . أي لا يستكتب . وهو بعيد . وفي لفظ ابن سعد أنه قال عن نفسه : (إن أبا هريرة لا يكتّم ولا يكتب) [2] . بالميم وبلا تشديد الثانية . وهذا اللفظ أصح عندي . إذ سنرى في آخر الكتاب أنه أملى نسخاً على بعض تلاميذه .

وقد مدّ أحمد أمين وغيره من صنايع المستشرقين أعناقهم فعيّروا أبا هريرة بأنه لم يكن يكتب . وأن عدم كتابته مظنة الخطأ . وتناسوا أنه ما هو بالوحيد من الصحابة ممن لم يكتبوا الحديث ، بل لم يكتب من الصحابة إلا قلة قليلة ، كعبدالله بن عمرو ، وعلي بن أبي طالب ، وهما لم يكتبا كل ما سمعا . وتجاهلوا أن اعتماد جمهور الصحابة كان على الحفظ ، كابن عباس وعائشة وأنس وغيرهم من المكثرين . فهل نتشكك في حديث كل الصحابة لأنهم لم يكتبوا ؟ سخافة يريدون بها التشكيك في صحة كل الأحاديث المروية ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنا أمة أميّة لا نكتب ولا نحسب .) [3] . لكنهم كانوا أمة الرواية والحفظ .

* * *

لا غرابة إذن ، بعد أن رأى أبو هريرة نفسه أحفظ الصحابة وأكثرهم حديثاً معاً . أن نجده فعلاً يكثر التحديث والرواية والتصدي لتبليغ ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كبار الصحابة ، فكان إكثاره هذا مدعاة لأن يلتمس منه بعض الصحابة الاقلال ، خوفاً عليه من الوقوع في الخطأ ، أو مدعاة لتعجب بعض التابعين ممن لم يعلم بملازمته الكثيرة للنبي صلى الله عليه وسلم ، أو مدعاة لأن يتطاول بعض الجهلة من جيل التابعين من أهل العراق فيكذبونه ، والعراق يومئذ ، باجماع المؤرخين ، كان مركز التجمع اليهودي والمجوسي ، ومركز التآمر على الإسلام والطعن في رجالاته ؟

من هنا ، ورداً على الطوائف الثلاثة ، وتبريراً لإكثاره وجرأته على الرواية : دافع أبو هريرة عن نفسه ، وبين الأسباب التي جعلته يثق بنفسه ، واضطر لذكر بعض فضائله ومناقبه ، لا من باب الغرور والادلال ، وإنما من باب التذكير والتحدث بنعمة الرب عز وجل ، والدعوة إلى انتهاج مسلك الانصاف والموازنة بين ظروفه وظروف غيره ، والفرق الذي يجهله البعض أو يتجاهله أو ينساه .

وأشهر دفاع له عن نفسه ما أخرجه البخاري في مواضع كثيرة عنه أنه قال :

(يقولون : إن أبا هريرة يكثر الحديث ، والله الموعد ، ويقولون : ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل أحاديثه ؟ وان إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالاسواق ، وإن إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل

---

(١) الدارمي ١٢٢/١ بسند صحيح

(٢) الطبقات ٣٦٤/٢ من نفس طريق الدارمي

(٣) البخاري ٣٤/٢

أموالهم ، و كنت امرءاً مسكيناً ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني . فأحضر حين يغيبون ، وأعي حين ينسون .) [1] .

وفي لفظ الإمام أحمد : (وإني كنت امرءاً معتكفاً . وكنت أكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أحضر إذا غابوا ، وأحفظ إذا نسوا .) [2] .

وفي لفظ الحاكم : (إنه لم يكن يشغلنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرس ولا صفق بالأسواق ، إنما كنت أطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة يعلمنيها أو أكلة يطعمنيها .) [3] .

وفي لفظ آخر للبخاري : (كنت ألزم النبي صلى الله عليه وسلم لشبع بطني ، حين لا آكل الخمير ولا ألبس الحرير ، ولا يخدمني فلان ولا فلانة ، وألصق بطني بالحصباء ، وأستقرىء الرجل الآية وهي معي كي ينقلب بي فيطعمني .) [4] .

قوله رضي الله عنه في اللفظ الأول : والله الموعد . هو (بفتح الميم ، وفيه حذف تقديرُه : وعند الله الموعد ، لأن الموعد إما مصدر وإما ظرف زمان أو ظرف مكان ، وكل ذلك لا يخبر به عن الله تُعالى ، ومراده : أن الله تعالى يحاسبني إن تعمدت كذباً ، ويحاسب من ظن بي ظن السوء . [5] .

أما قوله : على ملء بطني :(أي مقتنعاً بالقوت ، أي فلم تكن له غيبة عنه .) [6] ، لا كما يدعي المرجفون أنه يصحبه لأجل اللقمة ليس إلا . (فأبو هريرة لم يتكلم عن اسلامه ولا هجرته ولا صحبته المشتركة بينه وبين غيره من الصحابة وإنما تكلم عن مزيته ، وهي لزومه للنبي صلى الله عليه وسلم دونهم ، ولم يعلل هذه المزية بزيادة محبته أو زيادة رغبته في الخير أو العلم أو نحو ذلك مما يجعل له فضيلة على اخوانه ، وإنما عللها على أسلوبه في التواضع بقوله : على ملء بطني ، فانه جعل المزية لهم عليه بأنهم أقوياء يسعون في معاشهم وهو مسكين ، وهذا والله أدب بالغ تخضع له الاعناق .) [7] .

إن اتهام أبي هريرة بالنهم والحرص على الطعام اتهام (لا يقوله إلا موتور ، ولا يفهم معنى كلام أبي هريرة على هذا إلا من في عقله خلل ، أو في صدره دغل . وإلا فكيف يسوغ لعاقل أن يفهم أن ابا هريرة يترك

---

(١) البخاري ٣/١٣٥ ، واخرجه بالفاظ مقاربة في ٣/٦٥ ، ٧/١٦٦/١٦٧ ، ٩/١٣٣ ، وهو في مسند أحمد حديث رقم ٧٢٧٣ وعند ابن سعد ٢/٣٦٢ ، ٤/٣٣٠ ، ومصادر اخرى .

(٢) المسند ١٤/١٢٢

(٣) المستدرك ٣/٥١٠ بسند صحيح .

(٤) البخاري ٧/١٠٠ ، وهو في ٥/٢٤ بالفاظ مقاربة .

(٥) فتح الباري ٥/٤٢٥

(٦) الفتح ٥/١٩٢

(٧) من كلام المعلمي رحمه الله في الأنوار الكاشفة ص ١٤٧

بلاده وقبيلته وأرضه التي نشأ فيها ويترك ذلك كله بعيداً ليأتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأكل ويشرب فقط ؟ !

أكان أبو هريرة لا يجد في قبيلته ما يأكل ويشرب ؟ أكانت أرض دوس ، وهي قبيلة عظيمة ذات شرف ومكانة ، أرضاً مجدبة قاحلة ضاقت بأبي هريرة حتى لم يجد فيها طعامه وشرابه ؟ ولم جاء أبو هريرة إلى المدينة ؟ أما وجد في تجارتها وزراعتها ما يأكل به ويشرب كما يأكل ويشرب التجار والزراع فيها ؟ وهل نجد إلا عند المتسولين العالميين أن يهاجروا من بلادهم إلى بلاد نائية ليأكلوا ويشربوا ؟ بل إنا لا نجد عند هؤلاء مجرد الرغبة في الأكل والشرب ، بل وجمع الأموال . وأبو رية لا يتهم أبا هريرة بأنه صحب الرسول لجمع الاموال ، أفليس أبو هريرة في رأي أبي رية أحط شأناً من هؤلاء المتسولين العالميين النور أو الغجر ؟

أهكذا يصل عمى البصيرة والحقد الأسود بصاحبه إلى هذا الدرك ؟

ثم إن الرواية الصحيحة الثانية في صحبته للنبي صلى الله عليه وسلم ليست هي كما أوردها أبو رية ، بل هي كما رواهـــا البخاري في كتاب البيوع : وكنت الزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني ، يقول ذلك في إيضاح كثرة روايته للحديث كما سبق . ورواها مسلم أيضاً في فضائل الصحابة ، يقول : كنت رجلاً مسكيناً أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني .

فلا ذكر للصحبة هنا بل الملازمة والخدمة ، ولم يكن ذلك في صدد الباعث له على صحبة النبي صلى الله عليه وسلم كما زعم أبو رية ، بل في صدد السبب الذي من أجله كان أكثر الصحابة حديثاً. لقد كان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق في التجارة ، وكان الأنصار أصحاب زرع تشغلهم زراعتهم ، بينما هو كان يلازم النبي ويخدمه أينما ذهب ، فأين يأتي زعم أبي رية بأنه كان صريحاً صادقاً في كشف سبب صحبته للنبي صلى الله عليه وسلم ؟

ولم يكتف أبو رية بتحريف الكلم عن مواضعه بل زاد على ذلك أن لفظ : «على» ، في قوله : على ملء بطني ، إنما هو للتعليل ، وإن ابن هشام ذكر أن من معاني «على» هو التعليل ، كقوله تعالى : « ولتذكروا الله على ما هداكم ». أي لما هداكم .

وهذا افتراء آخر ودليل آخر على أنه لا يريد الحق وانما يريد أن يتلمس الطريق إلى الحط من شأن أبي هريرة .

إن ابن هشام رحمه الله ذكر أن (على) تأتي على تسعة معان ، إحداها التعليل ، فلماذا تعيّن عند أبي رية أن تكون لمعنى واحد من هذه المعاني التسع . مع أنها في قول أبي هريرة تصلح لأكثر تلك المعاني ؟

وقد فهمها العلماء الذين أنار الله بصائرهم وطهر قلوبهم من الحقد على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقيقتها دون ما فهمه أبو رية .

قال الإمام النووي في شرح قول أبي هريرة : على ملء بطني : أي ألازمه وأقنع بقوتي ولا أجمع مالا لذخيرة ولا غيرها ، ولا أزيد على قوتي ، والمراد من حيث حصول القوت من الوجوه المباحة ، وليس هو من الخدمة بالاجرة . شرح النووي على مسلم [1] .

وقال الحافظ ابن حجر : على ملء بطني : أي مقتنعاً بالقوت ، أي فلم تكن له غيبة عنه .

وقال العلامة العيني : على ملء بطني : أي مقتنعاً بالقوت [2] .

وخلاصة القول : إن أبا رية قد انكشف انكشافاً فاضحاً حين أراد أن يتخذ من قصة إسلام أبي هريرة وملازمته له مجالاً للتشكيك في صدق إسلامه واخلاصه في حب النبي صلى الله عليه وسلم ، من حيث كانت تلك القصة وهذه الصحبة من مفاخر أبي هريرة ومن أقوى الدلائل على حبه لله ولرسوله . حباً خالصاً لا تشوبه شائبة من حب للدنيا أو رغبة في المال أو حرص على الجاه .

أما الدنيا فقد خلفها وراءه منذ اعتزم أن لا يتاجر في المدينة ولا يزرع ولا يكون له هم إلا ملازمة الرسول صلى الله عليه وسلم وتلقي حديثه وحمل أمانته للمسلمين من بعده .

وأما المال فان أبا رية — على سفهه وشططه في فهم النصوص — لم يجرؤ أن يفتري على أبي هريرة أنه كان في إسلامه راغباً في المال .) [3] .

* * *

هذه هي ظروف أبي هريرة ، وهي ظروف لا ينكر أي منصف فضلاً عن مؤمن أنها تساعد أبا هريرة على التجرد للسماع والحفظ ورؤية جميع المشاهد النبوية .

وفعلاً نجد أن بعض كبار الصحابة قد أقرّوا بأنهم ألهاهم الصفق بالأسواق عن سماع بعض حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما وصفهم أبو هريرة ، فهذا الفاروق عمر رضي الله عنه يسمع حديثاً من أبي موسى الأشعري رضي الله عنه فينكره ، فيشهد أبو سعيد الخدري لأبي موسى رضي الله عنهما بأنه سمع الحديث نفسه أيضاً ، فيقول عمر : (خفي عليّ هذا من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألهاني عنه الصفق بالأسواق .) [4]

بل لم يكن رضي الله عنه يلهيه الصفق بالأسواق فحسب ، وإنما كانت داره في عوالي المدينة ، لا كأبي هريرة على بعد خطوات من حجرة عائشة رضي الله عنها .

---

(١) شرح النووي على مسلم ١٦/٥٣ .
(٢) عمدة القاري ٥/٢٩٤
(٣) من كلام السباعي رحمه الله في كتاب السنة ومكانتها ص ٣١٤ وما بعدها .
(٤) مسلم ٦/١٧٩

أخرج البخاري عنه أنه قال : (كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد ، وهم من عوالي المدينة ، وكنا نتناوب النزول على النبي صلى الله عليه وسلم ، فينزل يوماً ، وأنزل يوماً ، فإذا نزلت جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي أو غيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك .) [1] .

وهذا أبو بكر رضي الله عنه كان مسكنه بالسُنح ، وهو مكان بعيد عن المسجد أيضاً [2] .

فإذن : ليس بمستغرب أن يعلم أبو هريرة شيئاً لا يعلمه قدماء الصحابة ، بل أكثر من هذا : ليس بمستغرب أن يعلم شيئاً لا يعلمه أهل الاختصاص منهم بموضوع معين ، كما كان حذيفة رضي الله عنه مختصاً بمعرفة الفتن وأشراط الساعة لكثرة ما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ، ومع ذلك خفي عليه بعض علمها وعرفه أبو هريرة .

قال الحاكم : (قد اتفق الشيخان رضي الله عنهما على حديث شعبة عن عدي بن ثابت عن عبدالله بن يزيد عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال : أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هو كائن إلى يوم القيامة ، فما منه شيء إلا وقد سألته عنه ، إلا أني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة .) [3] ، بينما يروي أبو هريرة في ذلك حديثاً في نفس الصفحة من المستدرك ، وهو في البخاري [4] .

* * *

لذلك يقول أبو هريرة حين تعرض به مروان بن الحكم : (كنت والله أعلم الناس بحديثه ، قد والله سبقني قوم بصحبته والهجرة إليه من قريش والأنصار ، وكانوا يعرفون لزومي له ، فيسألوني عن حديثه ، منهم عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير ، فلا والله ما يخفى عليّ كل حديث كان بالمدينة ، وكل من أحب الله ورسوله ، وكل من كانت له عند رسول الله منزلة ، وكل صاحب له ، وكان أبو بكر صاحبه في الغار وغيره .) ثم قال : (ليسألني أبو عبد الملك عن هذا وأشباهه ، فانه يجد عندي منه علماً جماً ومقالاً .) [5] .

وحين تتعرض له عائشة رضي الله عنها ، وهي امرأة ، يضطر أبو هريرة لأن يذكرها بظروفها الخاصة التي تجعلها أقل منه مشاهدة لأمور النبي صلى الله عليه وسلم ، بكلمات طريفة تدل على نكتته . تقول له عائشة : (يا أبا هريرة : ما هذه الأحاديث التي تبلغنا أنك تحدث بها عن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ هل سمعت إلا ما سمعنا ، وهل رأيت إلا ما رأينا ؟) [6] ، فيجيبها : (يا أماه : إنه كان يشغلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المرآة والمكحلة والتصنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإني والله ما كان يشغلني عنه شيء .).

---

(١) البخاري ٣٦/٧
(٢) البخاري ٨٦/٢
(٣) المستدرك ٤٢٦/٤
(٤) البخاري ٢٦/٣
(٥) البداية والنهاية ١٠٨/٨
(٦) المستدرك ٥٠٩/٣ بسند صحيح أقره الذهبي وطبقات ابن سعد ٣٦٤/٢ بسند على شرط الصحيح .

ووثوقاً بنفسه تجاوز رضي الله عنه موقف الدفاع إلى موقف التعرض بعائشة ومعاندتها . فيأتي إلى جانب حجرتها يحدث [1] ، ثم يتعرض بها ويقول : (إسمعي يا ربة الحجرة ، إسمعي يا ربة الحجرة ، وعائشة تصلي .) [2] . (فلما قضت صلاتها قالت لعروة : ألا تسمع الى هذا ومقالته آنفاً ، إنما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحدث حديثاً لو عدّه العاد لأحصاه .) [3] ، وفي لفظ آخر : (ألا يعجبك أبو فلان ، جاء فجلس إلى جانب حجرتي يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمعني ذلك ، وكنت أسبّح . فقام قبل أن أقضي سبحتي ، ولو أدركته لرددت عليه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث كسردكم .) [4]

فهذا هو سبب إنكارها . ولم تضعّفه ، ولم تتهمه بكذب كما يحلو للبعض أن يدعي ، ومع ذلك فهي تعترف أنه قام قبل أن تقضي سبحتها ، أي صلاتها ، وليس وقت الصلاة بالوقت الطويل .

ولفظ مسلم لهذه القصة : (ألا يعجبك أبو هريرة جاء فجلس إلى جنب حجرتي .) [5]

وقولها : لو عدّه العاد لأحصاه : (أي لو عد كلماته أو مفرداته أو حروفه لأطاق ذلك وبلغ آخرها ، والمراد بذلك المبالغة في الترتيل والتفهيم .) [6] أما قولها : كنت أسبّح : (أي أصلي نافلة ، أو على ظاهره ، أي : أذكر الله ، والأول أوجه .) [7] ، وقولها : لو أدركته لرددت عليه : (اي لأنكرت عليه وبينت أن الترتيل في التحديث أولى من السرد .) [8] وقولها : لم يكن يسرد الحديث كسردكم : (أي يتابع الحديث استعجالاً بعضه إثر بعض لئلا يلتبس على المستمع : زاد الاسماعيلي من رواية المبارك عن يونس : انما كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلاً فهماً تفهمه القلوب .) [9] .

وقول عائشة هذا إنما قالته عندي في الأعم من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم ، وإلا فقد قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : (حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً حديثاً طويلاً عن الدجّال ، فكان فيما يحدثنا به أنه قال : ..) [10] ، وقال أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم :(أكثر أن يقول : سلوني) في مجلس من مجالسه [11] ، وكذلك أبو هريرة رضي الله عنه ، لم يكن دائماً يطيل التحديث ، إذ يقول عكرمة تلميذه : (ألا أخبركم بأشياء قصار حدثنا بها أبو هريرة ؟ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن..)[12] فهو يبين أنها قصار .

وبالله عليك أيها المنصف : هل يأتي الذي يريد أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرع بكذبه آذان أعلم الناس بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أم الأجدر به أن يتوارى بعيداً ؟

ومع ذلك فإن أبا هريرة إن كان يكثر في المجلس الواحد فنعتذر عنه (بأنه كان واسع الرواية ، كثير

---

(١) البخاري ٤/٢٣١
(٢)(٣) مسلم ٨/٢٢٩ ، ابو داوود ٢/٢٨٨
(٤) البخاري ٤/٢٣١ معلقاً عن الليث
(٥) مسلم ٧/١٦٧
(٦) إلى (٩) فتح الباري ٧/٣٨٩/٣٩٠
(١٠) البخاري ٩/٧٦
(١١) البخاري ٩/١١٨
(١٢) البخاري ٧/١٤٥ ومسند الحميدي ٢/٤٦٢/٤٨٢

المحفوظ ، فكان لا يتمكن من المهل عند إرادة التحديث ، كما قال بعض البلغاء : أريد أن أقتصر فتزاحم القوافي على فيّ .) [1] .

* * *

ويوضح أبو هريرة رضي الله عنه سبباً آخر لحفظه ، فيقول بعد ذكره عدم التهائه بالصفّق بالأسواق : (وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوماً : لن يبسط أحد منكم ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه ثم يجمعه إلى صدره فينسى من مقالتي شيئاً أبداً . فبسطت نمرة [2] ليس علي ثوب غيرها ، حتى قضى النبي صلى الله عليه وسلم مقالته ، ثم جمعتها إلى صدري ، فوالذي بعثه بالحق ما نسيت من مقالته تلك إلى يومي هذا) [3] ، وفي آخر رواية الحميدي : (قال المسعودي : وقام آخر فبسط رداءه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : سبقك بها الغلام الدّوْسي .) [4] .

وقد شجعت هذه الطريقة السهلة الطريفة أبا هريرة على أن يطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم بسط ثوبه مرة أخرى ، فيقول : (قلت : يا رسول الله : إني سمعت منك حديثاً كثيراً فأنساه . قال : ابسط رداءك ، فبسطت ، فغرف بيده فيه ، ثم قال : ضمّه ، فضممته ، فما نسيت حديثاً بعد .) [5] ، وهذا من علامات النبوة .

وهل إن عدم النسيان اختصت به أحاديث ذلك المجلس فقط أم يشمل كل ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك المجلس ايضاً ؟

نفى ابن حجر [6] اختصاصها بذلك المجلس وجعلها شاملة ، ويشهد له قول أبي هريرة في بعض ألفاظ هذه القصة : (فما نسيت حديثاً سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم بعد مجلسي ذاك .) [7] ، إلا أن الطحاوي يروي هذه القصة من طريقين :

الأول : طريق سعيد بن المسيب ، ولفظه : (فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً حدثني به .)؛

الثاني : طريق الأعرج ، ولفظه : (ما نسيت من مقالته تلك كلمة إلى يومي هذا .).

---

(١) الفتح ٣٩٠/٧

(٢) النمرة : (بفتح النون وكسر الميم) كساء ملون ، وقال ثعلب : هي ثوب مخطط ، وقال القزاز : دراعة تلبس فيها سواد وبياض .) فتح الباري ١٩٢/٥ .

(٣) مصادره هي نفس المصادر المذكورة في حاشية رقم١ ص٧٢ وراجع ايضاً مسند أحمد ٣٣٤/٢ بألفاظ مقاربة .

(٤) مسند الحميدي ٤٨٣/٢

(٥) البخاري ٢٥٣/٤ ، وبالفاظ مقاربة في ٤٠/١ ، وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٣٦٢/٢ ، ٣٢٩/٤ ، والترمذي ٢٢٥/١٣ بلفظ : (اسمع منك اشياء فلا احفظها .) .

(٦) الفتح ٢٢٦/١

(٧) التاريخ الكبير للبخاري ١٣٦/جـ١/ق١

ورجّح الطحاوي رواية الأعرج الثانية ، بقرينة أن أبا هريرة صرح بأن عبدالله ابن عمرو أكثر منه حديثاً لأنه كان يكتب وهو لا يكتب ، وهذا يتضمن اعترافه بأنه نسي بعض الأحاديث لعدم كتابته لها ، ثم قال : (ولما كان الأمر كذلك ، وكان عبدالله بن عمرو أكثرهما حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجب القضاء للأعرج على ابن المسيب فيما اختلفا فيه عن أبي هريرة ، فكان الذي مع أبي هريرة مما انتفى عنه فيه النسيان هو ما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الموطن الواحد ، لا فيما كان قبله ، ولا فيما كان منه بعده .) [1] .

وقد حاول أبو رية التشكيك أصلاً في قصة النمرة ، فادعى أن الامام مسلماً قال : إن مالكاً انتهى حديثه عند قول أبي هريرة المعروف عليه ، أي ذكره لعدم صفقه بالأسواق وملازمته النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه لم يذكر قصة النمرة ، وزعم أبو رية أن رواية مالك هي الصحيحة ، لأن الكلام بعد ذلك يفكك الأوصال ، وهذه محاولة فاشلة من أبي رية (نتم عن جهل عميق بمقصد مسلم وطريقة المحدثين ، ومن بغض دفين لأبي هريرة حمله على أن يحرف الكلم عن مواضعه ، والذي في صحيح مسلم أن الزهري رواه الحديث عن ابن المسيب عن أبي هريرة قد روى عنه الحديث ثلاثة : مالك ، وسفيان بن عيينة ، ومعمر ، أما مالك فقد اقتصر على كلام أبي هريرة ، وهو دفاعه عن نفسه وبيان الأسباب التي هيأت له الاكثار ، وأما سفيان ومعمر فقد ذكرا قصة بسط الثوب وطيّه النبي صلى الله عليه وسلم ، فالقصة وردت من طريق ابن عيينة ومعمر ، وناهيك بهما إمامين جليلين ، وكذلك وافق سفيان بن عيينة ومعمر في ذكر القصة ابراهيم بن سعد ، وحديثه عند البخاري .) [2]

* * *

ويعطينا أبو هريرة مثلاً عملياً لترصده لحفظ ما يصدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعدم التفات البعض الآخرين ، فيقول : (يقول الناس : أكثر أبو هريرة [3] ، فلقيت رجلاً فقلت : بما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم البارحة في العتمة ؟ فقال : لا أدري . فقلت : لم تشهدها ؟ قال : بلى . قلت : لكن أنا أدري ، قرأ سورة كذا وكذا .) [4] .

* * *

ومع ذلك فان ما حدثنا به أبو هريرة ليس كل ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ أخفى أحاديث

---

(١) مشكل الآثار ٢/٧٠ .

(٢) من كلام الشيخ ابي شهبة في (دفاع عن السنة) ص ١٦٦

(٣) قال ابن حجر : (هذا يدل على انه كان يقول هذه المقالة امام ما يريد ان يحدث به ، مما يدل على صحة اكثاره ، وعلى السبب في ذلك ، وعلى سبب استمراره على التحديث .) الفتح ٣/٣٣٣ .

(٤) البخاري ٢/٨١ ، طبقات ابن سعد ٢/٨١

كثيرة خشي من سامعيها أن يستغربوها فيكذبوه فيها ؛ أو خشي من الأمراء آنذاك أن يعدوها تحريضاً عليهم فيؤذوه من أجلها ، فيقول : (رب كيس عند أبي هريرة لم يفتحه ، يعني من العلم .) [1] .

ويقول : (حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين ، فأما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته : قطع هذا البلعوم .) [2] .

قال ابن حجر عن ابن المنير شارح البخاري : (أراد أبو هريرة بقوله : قطع ، أي قطع أهل الجور رأسه إذا سمعوا عيبه لفعلهم وتضليله لسعيهم ، ويؤيد ذلك أن الأحاديث المكتومة لو كانت من الأحكام الشرعية ما وسعه كتمانها ، لما ذكره في الحديث الأول من الآية الدالة على ذم من كتم العلم [3] .

وقال غيره [4] : يحتمل أن يكون أراد مع الصنف المذكور ما يتعلق بأشراط الساعة وتغير الأحوال والملاحم في آخر الزمان ، فينكر ذلك من لم يألفه ، ويعترض عليه من لا شعور له به .) [5] .

ويؤكد أبو هريرة جانب التكذيب ، فيقول في لفظ الحاكم : (حفظت من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث ما حدثتكم بها ، ولو حدثتكم بحديث منها لرجمتموني بالأحجار .) [6] ، وفي لفظ ابن سعد بسند صحيح : (لو أنبأتكم بكل ما أعلم لرماني الناس بالخزف وقالوا : أبو هريرة مجنون .) [7] ، وألفاظ أخرى قريبة من هذه أهملتها .

والحقيقة أنه لا غرابة في أن يكون أبو هريرة سمع مثل هذه الأحاديث التي يستغربها السامع ويتهمه بالكذب من أجلها ، إذ سمع حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أيضاً مثل تلك الأحاديث ، وخشي التحديث بها لنفس السبب الذي منع ابا هريرة .

أخرج الحاكم بسند صحيح أقرّه الذهبي عن أبي الطفيل قال : (انطلقت أنا وعمرو بن ضليع إلى حذيفة ابن اليمان وعنده سماطان من الناس ، فقلنا : يا حذيفة : أدركت ما لم ندرك ، وعلمت ما لم نعلم ، وسمعت مالم نسمع ، فحدثنا بشيء لعل الله أن ينفعنا به ، فقال : لو حدثتكم بكل ما سمعت ما انتظرتم بي الليل القريب .)[8]

وقال لخيثمة بن عبد الرحمن لما طلب منه ذلك : (لو فعلت لرجمتموني .) [9] .

فلا داعي إذن لأن يرى أبو رية أو المستشرق أو المبتدع في قول أبي هريرة هذا دليلاً على الكذب ، وإلا لاقتضى الأمر أيضاً تكذيب حذيفة ، وهو ما لم يقله أحد .

---

(١) سير اعلام النبلاء ٢/٤٣٢ ؛
(٢) البخاري ١/٤٠ ؛ طبقات ابن سعد ٢/٣٦٢ ، ٤/٣٣١
(٣) سيأتي الحديث ومعه الآية
(٤) اي غير ابن المنير
(٥) الفتح ١/٢٢٧
(٦) المستدرك ٣/٥٠٩ بسند صحيح اقره الذهبي .
(٧) الطبقات ٤/٣٣١
(٨) المستدرك ٤/٤٦٩
(٩) المستدرك ٤/٤٧١

بل وحتى هذا المقدار الذي حدثنا به أبو هريرة من الأحاديث لم يكن ليحدثنا به لولا أن خاف أن ينسب يوم القيامة إلى كتمان العلم ، فيقسم رضي الله عنه أنْ (والله : لولا آيتان في كتاب الله ما حدثتكم شيئاً أبداً : إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم ، وأنا التواب الرحيم .) [1]

* * *

من هنا ، وبنفسية الواثق بما عنده ، راح أبو هريرة رضي الله عنه يرد بعنف مرة ، وبعتاب ، أخرى وبسخرية ثالثة ، كل تهم الكذب التي وجهت اليه .

يشهد تلميذه أبو رزين مشهداً من ذلك فيقول : (خرج إلينا أبو هريرة فضرب بيده على جبهته فقال : ألا إنكم تحدثون أني أكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتهتدوا وأضل ، ألا وإني أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :...) [2] .

ويتحداهم فيقول بعد رواية حديث : (شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه .) [3] .

ذلك لأنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .) [4] ، وهو أخوف من أن يجلس على الجمرة الصغيرة فضلاً عن المقعد .

ومن أسخف ما قيل أن أبا هريرة كذاب لأنه نفى عنه الكذب ، وأن هذا خلق الكاذب يحاول نفي الكذب عنه ، ولا يخفى ما في هذا التفسير من الالتواء ، ذلك أن كثيراً من الصحابة كانوا ينفون عن أنفسهم الكذب لبعث الطمأنينة في نفوس السامعين ، وأبو هريرة ما نفى عن نفسه الكذب الا لمثل ذلك .

إن أبا هريرة رضي الله عنه لم ينفرد بنفي الكذب عنه ، فهذا الصحابي عمرو بن عَبَسة السلمي رضي الله عنه [5] ، جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في مكة في بدء الدعوة وأسلم ، حتى إنه سأل الرسول صلى الله عليه وسلم آنذاك : (من معك على هذا ؟ قال حرٌ وعبدٌ .) أي أبو بكر وبلال رضي الله عنهما ، ثم أمره

---

(١) البخاري ١٣٥/٣ ومواضع أخرى ، ومسند أحمد رقم ٧٢٧٤ ج ١٢ وابن سعد ٣٣١/٤ والآية من البقرة ١٥٩

(٢) مسلم ١٥٣/٦

(٣) ابو داود ١٤٨/٢

(٤) البخاري ٣٨/١

(٥) ترجم له البخاري في التاريخ الكبير ٣٠٢/جـ٣/ق٢ وساق خبراً فيه انه جاء أول مرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بعكاظ ، فهو من قدماء الصحابة ، وترجم له ابن حجر في التهذيب ٦٩/٨ وبين أنه اخو ابي ذر لأمه ، وان ابن مسعود وسهل بن سعد رويا عنه .

النبي صلى الله عليه وسلم بالرجوع إلى أهله حتى يظهر أمر الاسلام . فلما كانت الهجرة وفد إلى المدينة ، ثم سأل عن الصلاة فعلّمه الرسول صلى الله عليه وسلم إياها وعلّمه الوضوء ، فجعل يحدث بذلك بعد . فحدث (أبا أمامة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له أبو أمامة : يا عمرو بن عبسة : انظر ما تقول !)، فقال عمرو : (يا أبا أمامة : لقد كبرت سني ، ورقّ عظمي ، واقترب أجلي ، وما بي حاجة أن أكذب على الله ولا على رسول الله . لو لم أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً — حتى عدّ سبع مرات — ما حدثت به أبداً ، ولكني سمعته أكثر من ذلك .) [1] .

وهذا يزيد بن حيان يحدثنا عن زيد بن أرقم رضي الله عنه فيقول : (شهدت زيد بن أرقم وبعث اليه عبيدالله بن زياد فقال : ما أحاديث بلغني عنك تحدث بها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزعم أن له حوضاً في الجنة ؟. فقال : حدثنا ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعدناه . فقال : كذبت ولكنك شيخ قد خرفت . قال : أما إنه سمعته أذناي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعني وسمعته يقول : من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، وما كذبت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .) [2] .

أفكانا كاذبين ؟

وهذا علي رضي الله عنه يقول : (إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأن أخرّ من السماء أحبّ إلي من أن أكذب عليه .) [3] .

وهذا أبو ذر ينفي الكذب عن نفسه فيما أخرجه الحاكم عن مطرّف بن عبد الله بن الشخيّر قال: كان يبلغني عن ابي ذر حديث ، فكنت أشتهي لقاءه، فلقيته، فقلت : يا أبا ذر: كان يبلغني عنك حديث ، فكنت أشتهي لقاءك . قال : لله أبوك، فقد لقيتني . قال : قلت: حدثني . بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثك قال : إن الله يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة . قال : فلا أخالني أكذب على خليلي . قال : قلت هؤلاء الذين يحبهم الله ؟ قال : رجل ..) فعددهم [4]

فهل نستدل من ذلك على أن أبا ذر كذاب لأنه نفى عن نفسه الكذب وهو الذي لم يكن محتاجاً لتزكية أحد بعد ما قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : «ما أقلّت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر»

وهذا البراء بن عازب ينفي عن نفسه الكذب فيقول بعد أن يروي حديثاً : (ما كل ما نحدثكم عن

---

(١) مسلم ٢/٢١٠ ، المستدرك ١/١٦٥ ، مسند احمد ٤/١١٢/ ١١٤

(٢) مستدرك ١/٧٧ بسند صحيح اقره الذهبي مشكل الآثار ١/١٧٠ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١/١٤٤ ونسبه إلى معجم الطبراني الكبير والبزار ، ورجاله رجال الصحيح ، وكذا إلى مسند أحمد .

(٣) مسند أحمد ٢/٢٤٥ بتحقيق احمد شاكر ، بسند صحيح ، مسند ابي عوانة ٤/٧٧

(٤) مستدرك ٢/٨٩ بسند صحيح اقره الذهبي ، مسند أحمد ٥/١٧٦

رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن سمعناه وحدثنا أصحابنا ، ولكننا لا نكذب [1] . وفي لفظ الحاكم : (ليس كلنا سمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانت لنا ضيعة وأشغال ، ولكن الناس كانوا لا يكذبون يومئذ ، فيحدث الشاهد الغائب .) [2] .

وكذلك أنس رضي الله عنه ، فعن حميد قال : (كنا مع أنس بن مالك فقال : والله ما كل ما نحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعناه منه ، ولكن لم يكن يكذب بعضنا بعضاً . رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .) [3] .

ويقول تابع التابعين أبو بكر بن عياش بعد أن روى حديثاً عن أبي اسحاق عن أبي وائل عن عبدالله بن مسعود : (والله ما كذبت على أبي اسحاق ، ولا أرى أبا اسحاق كذب على أبي وائل ، ولا أرى أبا وائل كذب على عبدالله .) [4] .

أما إنهم رضي الله عنهم استوقفوا أبا هريرة وناظروه ، أو استنكروا بعض حديثه فاضطر للدفاع عن نفسه ، فتلك كانت مسالكهم فيما يبدو لي لتنبيه الثقة إلى ضرورة الاتقان ، كما فعلوا بعمرو بن عبسة رضي الله عنه .

إنكم لتأتون أمراً عظيماً سيشدد الله حسابكم عليه أيها المكذبون للصحابة ، وإن لكم ولأبي هريرة لموقفاً أمام جبار منتقم .

ولندع كل هؤلاء ، ألم ينف الرسول صلى الله عليه وسلم عن نفسه الكذب ؟ أسمعه يقول : (اذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به ، فاني لن أكذب على الله عز وجل .) [5] .

أفرسول الله صلى الله عليه وسلم يفصح عما في باطنه من الكذب بصورة نفيه ؟ حاشاه وهو الصادق المصدوق .

إنه تفسير لئيم مسموم لأقوال أبي هريرة .

نعم إنه تفسير لئيم يتجاهل أن أبا هريرة إن انكرت عليه بعض الأحاديث واستوثقوا منه حولها أو أنكر عليه الإكثار فليس هو في ذلك إلا واحداً من رهط من افاضل الصحابة تعرضوا لمثل هذا الإنكار ثم تأيد صدقهم. من ذلك ما أخرجه النسائي بسند صحيح من قصه تيمّم عمار في غزوة كان فيها مع عمر رضي الله عنهما بتمرغه في التراب وقول الرسول صلى الله عليه وسلم إليهما بعد رجوعهما : (إن كان الصعيد لكافيك ،

---

(١) اخرجه أحمد في العلل ومعرفة الرجال ١/٤٠٨ بسند صحيح إلى البراء ، وهو في تاريخ ابن ابي خيثمة ص ٥١

(٢) مستدرك ١/١٢٧ بسند صحيح أقره الذهبي

(٣) مجمع الزوائد ١/١٥٣ ، تاريخ ابن ابي خيثمة ص ٥١

(٤) مستدرك ٢/٢٩٩

(٥) مسلم ٧/٩٥

وضرب بكفيه إلى الأرض ثم نفخ فيهما ثم مسح وجهه وبعض ذراعيه .) ثم كانت مدة فاستفتي عمر في خلافته في التيمم فذكره عمار بهذا فقال عمر : (اتق الله يا عمار . فقال : يا أمير المؤمنين : إن شئت لم أذكره . قال : لا ، ولكن نوليك من ذلك ما توليت .) [1] .

قال السيوطي : (قوله : ولكن نوليك : كأنه ما قطع بخطئه ، وإنما لم يذكره فجوّز عليه الوهم وعلى نفسه النسيان .) [2] .

وعلى كلٍ فان عمر (لم يقنع بقول عمار) كما يقول عبدالله بن عمر .[3] .

فهل كان ذلك تكذيباً لعمار وهو من نعلم في قدم إسلامه وحبه لعلي رضي الله عنه واستشهاده معه ؟

إن الصحابة رضي الله عنهم كان يرد بعضهم بعضاً وينسون ، ويحصل عندهم الوهم والنسيان وغير ذلك ، وهل أبو هريرة إلا أحدهم ؟

ومن ذلك ما عرف عن عمر أيضاً من أنه كان يستوثق المحدث .

أخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري قال : (كنت جالساً بالمدينة في مجلس الأنصار فأتانا أبو موسى فزعاً أو مذعوراً . قلنا : ما شأنك ؟ قال : إن عمر أرسل إليّ أن آتيه ، فأتيت بابه ، فسلّمت ثلاثاً فلم ترد علي فرجعت فقال : ما منعك أن تأتينا ؟ فقلت : اني أتيتك فسلّمت على بابك ثلاثاً ، فلم يردوا علي فرجعت وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع . فقال عمر : أقم عليه البينة وإلا أوجعتك . فقال أبي بن كعب : لا يقوم معه إلا أصغر القوم . قال أبو سعيد : قلت : أنا أصغر القوم . قال : فاذهب به .) [4] ، وفي لفظ آخر لمسلم : (فأتى أبو موسى الأشعري) ولفظ (لأوجعن ظهرك وبطنك أو لتأتين بمن يشهد لك على هذا .) ولفظ (فلاجعلنك عظة) ولفظ (فجعلوا يضحكون) قال: فقلت : أتاكم أخوكم المسلم قد أفزع تضحكون ؟ انطلق فأنا شريكك في هذه العقوبة . ثم قال عمر (أحببت أن أتثبت .) [5] .

وفي لفظ البخاري لهذه القصة أن عمر قال بعد ذلك : (أخفي علي من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ألهاني الصفق بالأسواق . يعني الخروج إلى تجارة .) .

وفي لفظ أبي داود أن عمر اعتذر فقال لأبي موسى : (إني لم أتهمك ، ولكن الحديث عن رسول الله صلى

---

(١) نسائي ١٦٩/١ ، ابو داود ٧٨/١

(٢) هامش النسائي

(٣) نسائي ١٧١/١

(٤) مسلم ١٧٧/٦ ، البخاري ٦٩/٣ ، ١٣٣/٩ ، ورواية مسلم أوضح ، وانظر كذلك ابا داود ٦٣٧/٢

(٥) مسلم ١٨٠/٦

الله عليه وسلم شديد .) وله أيضاً : (أمـــا إني لم اتهمك ، ولكني خشيت أن يتقول الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم .)

فهم هكذا كانوا يحاسبون الثقات ليرتهب من يريد الكذب .

قال المعلمي : (قد ثبت عن عمر الأخذ بخبر الواحد في أمور عديدة — من ذلك أنه كان لا يورث المرأة من دية زوجها حتى أخبره الضحاك بن سفيان الكلابي أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إليه أن يورث امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها ، فرجع إليه عمر . وعمل بخبر عبد الرحمن بن عوف وحده في النهي عن دخول بلد فيها الطاعون . وعمل بخبره وحده في أخذ الجزية من المجوس . وهذا كله ثابت . راجع رسالة الشافعي ص ٤٢٦ . وفي صحيح البخاري وغيره عن عمر أنه قال لابنه عبدالله : إذا حدثك سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء فلا تسأل عنه غيره ، وكان سعد حدث عبدالله حديثاً في مسح الخفين . فأما قصة أبي موسى فإنما شدد عمر لأن الاستئذان مما يكثر وقوعه ، وعمر أطول صحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وأكثر ملازمة وأشد اختصاصاً ولم يحفظ هو ذلك الحكم فاستغربه .) ثم قال : (قال ابن عبد البر : يحتمل أن يكون حضر عنده من قرب عهده بالاسلام فخشي أن أحدهم يختلق الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة والرهبة طلباً للمخرج مما يدخل فيه فأراد أن يعلمهم .) [1] .

ومن أمثلة انكارهم أيضاً أن ابن عباس حدث عبدالله بن شقيق العقيلي حديثاً في الجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء . يقول ابن شقيق : (فحاك في صدري من ذلك شيء ، فأتيت أبا هريرة فسألته فصدق مقالته .) [2] .

فهل هذا تكذيب لابن عباس ؟ وهل لأن أحداً حاك في صدره شيء من بعض حديث ابن عباس يجب التشكك بحديثه وتكذيبه ؟

إن أبا هريرة لم تزد حاله على أن استغرب البعض حديثه فحاك في صدورهم شيء فسألوا فأيّد الصحابة الآخرون حديثه .

وقصة أخرى حدثت لابن عباس يروي فيها طاوس استغراب زيد بن ثابت رضي الله عنهم لبعض فتوى ابن عباس ، (فقال له ابن عباس : أمّا لا فسل فلانة الأنصارية : هل أمرها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : فرجع زيد بن ثابت إلى ابن عباس يضحك وهو يقول : ما أراك إلا قد صدقت .) [3] .

فهل ما أنكر على أبي هريرة إلا من هذا القبيل الذي يظهر بعد أن الصواب فيه معه ؟

---

(١) الانوار الكاشفة ص ٦٧ (٢) مسلم ١٥٣/٢

(٣) صحيح مسلم ٩٣/٤

وعن عبد الملك بن عمير قال : (حدثني قزعة أنه سمع أبا سعيد الخدري يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فأعجبني ، فدنوت منه ، وكان في نفسي ، حتى أتيته فقلت : أنت سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : فغضب غضباً شديداً ، قال : فأحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم أسمعه ؟ نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ...) [1] .

وحدث الخدري رضي الله عنه في أخرى بحديث طويل في عذاب جهنم فيه معان غريبة ، وكأنه رأى استغراب البعض فقال : (إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا إن شئتم : ان الله لا يظلم مثقال ذرة). [2] .

أفيجوز أن تتهمه بالكذب لقوله هذا ؟

وحدث أبو امامة رضي الله عنه بحديث فقيل له : أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : (بل كنا في قوم ما كذبونا ولا كذبنا .) [3]

ومثل ذلك مسارعة الرواة من التابعين إلى نفي الكذب عن الصحابة الذين حدثوهم . كقول جرير بن حازم : (سمعت الحسن يقول : حدثنا جندب بن عبدالله في هذا المسجد ، ما نسيناه منذ حدثنا ، وما نخشى أن جندباً كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .)[4] وكقول عبدالله بن يزيد : (حدثني البراء وهو غير كذوب .)[5]

وروي أن علياً رضي الله عنه كان يستحلف المحدث ، فيقول : (إني كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني ، وإذا حدثني رجل من أصحابه استحلفته ، فاذا حلف لي صدقته .) [6] . رواه عنه أسماء بن الحكم الفزاري وهو ثقة يخطىء [7] . وقال ابن عدي : (هذا الحديث طريقة حسن وأرجو أن يكون صحيحاً .) [8] إلاّ أن البخاري أنكره ، وقال : إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قد روى بعضهم عن بعض ولم يحلف بعضهم بعضاً .) [9] . وتبعه العقيلي في إنكاره مستشهداً بأن علياً سمع من عمر فلم يستحلفه [10] ، وتبعهم ابن حجر محتجاً بأنه قد (جاءت عنه رواية عن المقداد وأخرى عن عمار ورواية عن فاطمة الزهراء رضي الله عنهم وليس في شيء من طرقهم أنه استحلفهم) [11] إلا أننا على فرض ثبوت سلوك علي رضي الله عنه لهذا المسلك حين سماعه حديثاً : هل لنا إلا أن نحمل مسلكـــه على أنه مسلك احتياطي يبتغي به التثبيت ولا يعني به احتمال كذب الراوي ؟

إن عبارة علي رضي الله عنه شاملة تشمل كل الصحابة ، وهو أرفع من أن يتوقع الكذب من الصحابة جميعاً

---

(١) مسند أحمد ٣/٥١ بسند صحيح
(٢) مسلم ١/١١٦
(٣) مسند أحمد ٥/٢٦٨
(٤) مسند ابي عوانة ١/٤٦
(٥) البخاري ١/١٦٨
(٦) الترمذي ٢/١٩٦ وقال : حديث حسن
(٧) ثقات ابن حبان ص ١٦
(٨) الكامل لابن عدي ص ١٥٠
(٩) التهذيب ١/٢٦٧
(١٠) (١١) التهذيب ١/٢٦٨

بلا استثناء بما فيهم المهاجرين الأولين وأهل العقبة . لكنه التوثق والتثبيت ودعوة الراوي إلى الإتقان .

يقول الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله : (أما أن الصحابة كان يشك بعضهم في صدق بعض فهذه دعوى لا برهان لها إلا في كتب الروافض من غلاة الشيعة الذين نقلوا عن علي رضي الله عنه تكذيبه لمن خالفه من الصحابة وسبه لهم وإطلاق لسانه فيهم ، ولكن النقل الصحيح والتاريخ النزيه عن أهواء ذوي الغايات يثبت ببيان لا غموض فيه أن الصحابة كانوا أبعد الناس عن أن يسب بعضهم بعضاً ، أو يشك بعضهم في صدق بعض ، والأدلة على هذا متوافرة جداً ، فقد كان الصحابي إذا سمع من صحابي آخر حديثاً صدق به ولم يخالجه الشك في صدقه وأسنده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم كما لو كان سمعه بنفسه .) [1] .

* * *

ويمكن أن نجد تفسيراً آخر لإنكار الصحابة رضي الله عنهم الإكثار على أبي هريرة ، غير متكلف ولا ظالم ولا مرجح لنظرة السوء ، يبرز لنا من خلال ما يؤثر عنهم من التوقي والحذر الشديد في الرواية ولجوئهم إلى لمة التحديث وعدم الإكثار ، لخوفهم من الخطأ ، في الحين الذي استرسل أبو هريرة في سرد مسموعاته ، غير هياب مثلهم ، لوثوقه بحفظه وذاكرته . فلا غرابة أن نجد الذي يرى اكثاره واقلال الآخرين مستنكراً لاكثاره ، خصوصاً إذا كان صحابياً واقفاً عند ظاهر الأحاديث التي تأمر بعدم الإكثار في الرواية مرجحاً لها على الأحاديث الأخرى التي تحث على التبليغ ورفع الحرج عن التحديث ، أو غير سامع لهذه الأحاديث الأخرى .

أخرج الحاكم عن عبدالله بن مسعود (أنه حدث يوماً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتعد وارتعدت ثيابه ، ثم قال : أو نحو هذا .) وأخرجه بسند آخر ثم قال : (هذا حديث من أصول التوقي عن كثرة الرواية والحث على الاتقان .) [2] .

ومثله ما أخرجه عن أحد أصحاب ابن مسعود قال : (ما أخطأني عشية خميس إلا أتيت فيها ابن مسعود فما سمعته لشيء يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان ذات عشية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنظرت إليه فاذا هو محاول أزار قميصه ، منتفخ أوداجه ، مغرورقة عيناه ، ثم قال : هكذا أو فوق ذا أو قريب من ذا ، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .) [3] .

وأخرج الدارمي عن ثابت بن قطبة الأنصاري قال : (كان عبدالله يحدثنا في الشهر بالحديثين أو الثلاثة) [4] .

وعثمان أيضاً رضي الله عنه يتحرج من التحديث ، ويفصح عن سبب ذلك فيقول : (ما يمنعني أن أحدث

---

(١) السنة ومكانتها ص ٢٤١

(٢) المستدرك ١/١١١ بسند صحيح أقره الذهبي

(٣) المستدرك ١/١١١ ، الدارمي ١/٨٣

(٤) الرمي) ١/٨٤

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون أوعى أصحابه عنه ، ولكني أشهد لسمعته يقول : من قال علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار .) [1] .

وكذلك يروي لنا الشعبي إقلال ابن عمر فيقول : (لقد صحبت ابن عمر سنة ونصفاً ، فلم أسمعه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حديثاً واحداً .) [2] .

ويؤكده الشعبي مرة أخرى فيقول في نفس الحديث : (قد قاعدت ابن عمر قريباً من سنتين ، أو سنة ونصفاً ، فلم أسمعه ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم غير هذا .) [3] .

وهو مسلك الزبير أيضاً ، إذ أخرج أبو داود عن عبدالله بن الزبير قال : (قلت للزبير : ما يمنعك أن تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث عنه أصحابه ؟ قال : أما والله لقد كان لي منه وجه ومنزلة ، ولكني سمعته يقول : من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .) [4] .

ويروي لنا السائب بن يزيد اقلال سعد رضي الله عنه فيقول: (صحبت سعد ابن أبي وقاص كذا وكذا سنة ، فلم أسمعه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حديثاً واحداً .) [5] . وفي لفظ الدارمي : (خرجت مع سعد إلى مكة فما سمعته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رجعنا إلى المدينة .) [6] ، ومع ذلك فان لسعد أحاديث كثيرة في دواوين الإسلام ، والظاهر أنه كان لا يحدث إلا وقت الحاجة ، وقد أطنب المعلمي اليماني رحمه الله في بيان سبب إقلاله .

و (كان أنس قليل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان إذا حدث عن رسول الله صلى الله وسلم قال : أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .) [7] ، (ومع ذلك فانس من المكثرين لأنه تأخرت وفاته ، فاحتيج اليه... ، ولم يمكنه الكتمان ، ويجمع بأنه لو حدث بكل ما عنده لكان أضعاف ماحدث به .) [8]

وأبو قتادة رضي الله عنه يقل الرواية أيضاً ، ثم يذكر لفظاً لم يذكره هؤلاء الذين قدمنا ذكرهم هو السر في إقلالهم وإقلاله ، فيقول مجيباً عبد الرحمن بن كعب بن مالك إذ طلب منه التحديث : (أخشى أن يزل لساني بشيء لم يقله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إياكم وكثرة

---

(١) مسند أحمد ٣٦٤/١ بسند صححه احمد شاكر ، واخرجه البخاري في التاريخ الكبير ٢٠٩/جـ٣/ق٢ ، والطحاوي في مشكل الآثار ١٦٦/١

(٢) مسند أحمد ٩٨/٩ بسند صححه احمد شاكر

(٣) البخاري ١١٢/٩ ، مسلم ٦٧/٦ ، مسند ابي عوانة ١٧٢/٥ ، مسند أحمد ٣٠٩/٧ بتحقيق احمد شاكر ، الدارمي ٨٤/١ ، وروى الدارمي ايضاً ٨٦/١ عن مجاهد اقلال ابن عمر

(٤) ابو داود ٢٨٧/٢ بسند صحيح ، ابن ماجة ١٤/١

(٥) المستدرك ٤٩٧/٣ بسند صحيح أقره الذهبي .

(٦) الدارمي ٨٥/١

(٧) المستدرك ٥٧٤/٣ بسند صحيح اقره الذهبي

(٨) الفتح ٢١١/١

الحديث عني ، من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .) [1] .

ومثلهم زيد بن أرقم رضي الله عنه ، فقد قال حصين بن سبرة له : (لقد لقيت يازيد خيراً كثيراً ، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمعت حديثه ، وغزوت معه ، وصليت معه ، لقد رأيت يازيد خيراً كثيراً ، حدثنا يازيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : يا ابن أخي ، والله لقد كبرت سني ، وقدم عهدي ، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما حدثتكم فاقبلوه ، وما لا .. فلا تكلفونيه .) [2] .

ويقول قيس بن بشر التغلبي : (أخبرني أبي ، وكان جليساً لأبي الدرداء ، قال : كان بدمشق رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، يقال له : ابن الحنظلية ، وكان رجلاً متوحداً قلّما يجالس الناس ، إنما هو في صلاة ، فاذا فرغ فانما يسبح ويكبّر ، حتى يأتي أهله ، فمر بنا يوماً ونحن عند أبي الدرداء ، فقال له أبو الدرداء : كلمة تنفعنا ولا تضرك .) [3] ، فحدثهم .

وعن العلاء بن سعد بن سعيد قال : (قيل لرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : مالك لا تحدث كما يحدث فلان وفلان ؟ فقال : مالي ألا أكون سمعت مثلما ما سمعوا وحضرت مثل ما حضروا ، ولكن لم يدرس الأمر بعد ، والناس متماسكون ، فأنا أجد من يكفيني ، وأكره التزيد والنقصان في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .) [4] .

فهذا دستور المقلين : إنهم وجدوا من يكفيهم ، وكرهوا الزيادة والنقصان .

و (عن عمران بن حصين قال : سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث سمعتها وحفظتها ، ما يمنعني أن أحدث بها إلا أن أصحابي يخالفوني فيها .) [5] .

ويقول عمران بن حصين أيضاً لمطرف بن عبدالله بن الشخير : (أي مطرف . والله إن كنت لأرى أني لو حدثت عن نبي الله صلى الله عليه وسلم يومين متتابعين لا أعيد حديثاً ، ثم لقد زادني بطأً عن ذلك وكراهية له أن رجالاً من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم — أو من بعض أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم — شهدت كما شهدوا وسمعت كما سمعوا ، يحدثون أحاديث ما هي كما يقولون ، ولقد علمت أنهم لا يألون عن الخير ، فأخاف أن يشبّه لي كما شبّه لهم . فكان أحياناً يقول : لو حدثتكم أني سمعت من نبي الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا رأيت أني قد صدقت ، وأحياناً يعزم فيقول : سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا.) [6]

---

(١) المستدرك ١١٢/١ بسند صحيح أقره الذهبي ، مشكل الآثار للطحاوي ١٧٢/١ بألفاظ مقاربة

(٢) مسند أحمد ٣٦٦/٤ بسند صحيح ، ابن ماجة ١١/١

(٣) مسند أحمد ١٧٩/٤

(٤) الزهد لعبد الله بن المبارك ص ٢٠

(٥) مجمع الزوائد ١٣١/١ وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثوقون

(٦) مسند أحمد ٤٣٣/٤ ، تأويل مختلف الحديث ص ٤٠

وأول باب عقده ابن عدي في كتابه الكامل هو باب : (من أقلل الرواية عنه مخافة الذلة .) [1] ، أي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخرج فيه أقوالاً مماثلة لهذه عن أبي قتادة وأنس وعثمان ، وصهيب وابن مسعود رضي الله عنهم .

ثم تكلم في الباب الحادي عشر [2] عن (من شدد من الصحابة الرواية عنه فرقاً من الكذب فيه وقال : كبرنا ونسينا .) ، أخرج فيه قول زيد بن أرقم الذي رويناه ، وأخرج فيه عن السائب بن يزيد أنه قال : (صحبت عبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيدالله وسعد ابن أبي وقاص والمقداد بن الأسود ، فلم أسمع أحداً منهم يتحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أني سمعت طلحة بن عبيدالله يتحدث عن يوم أحد .) .

وعقد الباب السابع عشر [3] لبيان (من اختار قلة الحديث وذم طلبه وكثرته طلب السلامة من الكذب .) ، ذكر فيه أقوال بعض التابعين وأتباعهم ، كقول أيوب السختياني : (ما قل من الحديث كان خير .) وأقوالاً في معناه عن عبيدالله العمري ، وشعبي بن ماتع ، ومالك بن أنس ، وابن شبرمة الكوفي ، والثوري .

ومثل هؤلاء عامر الشعبي ، أحد سادات التابعين ، إذ يقول : (كره الصالحون الأولون الاكثار من الحديث ، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت ما حدثت إلا بما أجمع عليه أهل الحديث .) [4] .

وقال أحد التابعين : (سألت الشعبي عن حديث فحدثنيه ، فقلت : إنه يرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : لا ، على من دون النبي صلى الله عليه وسلم أحب الينا ، فان كان فيه زيادة أو نقصان كان عليّ من دون النبي صلى الله عليه وسلم .) [5] .

وروي مثل هذا عن ابراهيم النخعي [6] .

وكذلك التابعي البصري الجليل جابر بن زيد ، إذ يقول أحد تلامذته : (ما سمعت جابر بن زيد يقول قط : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إعظاماً واتقاءً ان يكذب عليه .) [7] .

ويلاحظ أن كل هؤلاء إنما أقلوا الرواية من باب الاحتياط ولم يلتزموا السكوت المطبق ، بدليل أن دواوين السنة مملوءة بكثير من رواياتهم ، وإن كان هؤلاء الذين رووا سكوتهم لم يسمعوا فقد سمع غيرهم من الثقات ، وفي هذا رد على أبي رية الذي يروي شذوذ ابي هريرة عنهم بالتحديث .

وكأني أرى أن كل هذا الرهط الفاضل من المقلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن

---

(١) الكامل جـ١ ص١
(٢) الكامل جـ١ ص٤
(٣) الكامل جـ١ ص ٦
(٤) تذكرة الحفاظ ٨٣/١
(٥) (٦) الدارمي ٨٢/١
(٧) الدارمي ٨٦/١

التابعين قد بلغه مذهب عمر بن الخطـــاب رضي الله عنه في ذلك فوقفوا عنده وتأثروا به . إذ (كان عمر أيضاً شديداً على من أكثر الرواية . أو أتى بخبر في الحكم لا شاهد له عليه ، وكان يأمرهم بأن يقلوا الرواية ، يريد بذلك : أن لا يتسع الناس فيها ويدخلها الشوب . ويقع التدليس والكذب ، من المنافق والفاجر والأعرابي .) [1] . فقال (جردوا القرآن . وأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأنا شريككم .) [2] ، وروي عنه إنه حبس ابن مسعود وأبا الدرداء وأبا ذر في المدينة كي لا يتيح لهم فرصة الاكثار من الحديث خوفاً من الخطأ . رواه الحاكم ، وذكره الذهبي في مختصر المستدرك مما يدل على تصحيحه له [3] ، إلا أن ابن حزم ضعف هذه الرواية ، وذكر انها منقطعة ، وردها [4] .

* * *

فكل هؤلاء كما نرى يكرهون الإكثار . وما ذلك إلا لأن (الاكثار مظنة الخطأ . والثقة إذا حدث بالخطأ فحمل عنه وهو لا يشعر أنه خطأ يعمل به على الدوام للوثوق بنقله . فيكون سبباً للعمل بما لم يقله الشارع . فمن خشي من الاكثار الوقوع في الخطأ لا يؤمن عليه الأثم إذا تعمد الإكثار . فمن ثم توقف الزبير وغيره من الصحابة عن الإكثار من التحديث ، وأما من أكثر منهم فمحمول على أنهم كانوا واثقين من أنفسهم بالتثبيت ، أو غالت أعمارهم واحتيج إلى ما عندهم فسئلوا فلم يمكنهم الكتمان ، رضي الله عنهم .) [5] كأبي هريرة رضي الله عنه .

وبهذا يتبين لنا بطلان دعوى من استدل بقلة ما روي عن كبار الصحابة على كذب أبي هريرة إذ أكثر ، وإنما الكاذب هو ، ذلك أنه : (انما قلت الرواية عن الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم هلكوا قبل أن يحتاج اليهم . وإنما كثرت عن عمر ابن الخطاب وعلي ابن أبي طالب لأنهما وليا فسئلا وقضيا بين الناس ، وكل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا أئمة يقتدى بهم ، ويحفظ عليهم ما كانوا يفعلون ، ويستفتون فيفتون ، وسمعوا أحاديث فأدوها . فكان الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل حديثاً عنه من غيرهم ، مثل أبي بكر ، وعثمان وطلحة ، والزبير ، وسعد ابن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبي عبيدة بن الجراح ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وأبي بن كعب وسعد بن عبادة ، وعبادة بن الصامت ، وأسيد بن حضير ، ومعاذ بن جبل ، ونظرائهم ، فلم يأت عنهم من كثرة الحديث مثل ما جاء عن الأحداث من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مثل جابر بن عبدالله ، وابي سعيد الخدري ، وأبي هريرة ، وعبدالله ابن عمر بن الخطـــاب ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبدالله بن العباس ، ورافع بن خديج ، وأنس بن مالك ، والبراء ابن عازب ، ونظرائهم .)[6] (لأنهم بقوا وطالت أعمارهم في الناس ، فاحتاج الناس إليهم ، ومضى كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبله وبعده بعلمه .)[7] (ومنهم من لم يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً . ولعله أكثر له صحبة ومجالسة وسماعاً من الذي حدث عنه . ولكنا حملنا الأمر

---

(١) تأويل مختلف الحديث ص ٣٩
(٢) غريب الحديث لابي عبيد ٤/٤٩
(٣) المستدرك ١/١١٠
(٤) الاحكام في اصول الاحكام ٢/١٣٩
(٥) فتح الباري ١/٢١١
(٦) (٧) طبقات ابن سعد ٢/٣٧٦

في ذلك منهم على التوقي في الحديث ، أو على أنه لم يحتج اليه لكثرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى الاشتغال بالعبادة والأسفار في الجهاد في سبيل الله ، حتى مضوا ولم يحفظ عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء .)[1]

ويقول المعلمي رحمه الله : (كان هناك عملان : الأول : التلقي من النبي صلى الله عليه وسلم . الثاني : الاداء . فأما التلقي فلم يكن في وسع الصحابة أن يلازموا النبي صلى الله عليه وسلم ملازمة مستمرة ، واذ كان أنس وأبو هريرة ملازمين للنبي صلى الله عليه وسلم لخدمته فلا بد أن يتلقيا من الأحاديث أكثر مما تلقاه المشتغلون بالتجارة والزراعة ، على أن أبا هريرة ، لحرصه على العلم ، تلقى ممن سبقه إلى الصحبة ما عندهم من الحديث ، فربما رواها عنهم .) [2] .

(وأما الأداء فانما عاش أبو بكر زمن الاداء نحو سنتين مشغولاً بتدبير أمور المسلمين ، وعاش عمر مدة أبي بكر مشغولاً بالوزارة والتجارة ، وبعده مشغولاً بتدبير أمور المسلمين).

وفي المستدرك ان معاذ بن جبل أوصى أصحابه أن يطلبوا العلم ، وسمى لهم أبا الدرداء ، وسلمان ، وابن مسعود ، وعبدالله بن سلام ، فقال يزيد بن عميرة وعند عمر بن الخطاب ؟ فقال معاذ : لا تسأله عن شيء ، فانه عنك مشغول .

وعاش عثمان وعلي مشغولين بالوزارة وغيرها ، ثم بالخلافة ومصارعة الفتن ، وكان الراغبون في طلب العلم يتهيبون هؤلاء ونظراءهم ، ويرون أن جميع الصحابة ثقات أمناء ، فيكتفون بمن دون أولئك ، وكان هؤلاء الأكابر يرون أنه لا يتحتم عليهم التبليغ إلا عندما تدعو الحاجة ، ويرون أنه إذا جرى العمل على ذلك فلن يضيع شيء من السنة ، لأن الصحابة كثير ، ومدة بقائهم ستطول ، وعروض المناسبات التي تدعو الحاجة فيها إلى التبليغ كثير ، وفوق ذلك فقد تكفل الله عز وجل بحفظ شريعته ، وكانوا مع ذلك يشددون على أنفسهم خشية الغلط ، ويرون أنه إذا كان من أحد منهم خطأ وقت وجوب التبليغ فهو معذور قطعاً ، بخلاف من حدث قبل الحاجة فأخطأ ، وكانوا مع ذلك يحبون أن يكفيهم غيرهم ، ومع هذا فقد حدثوا بأحاديث عديدة ، وبلغهم عن بعضهم أنه يكثر من التحديث ، فلم يزعموا أنه أتى منكراً ، وانما حكي عن بعضهم ما يدل أنه يرى الاكثار خلاف الأولى .) [3] .

ونلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستخدم أنساً إلا عند خروجه إلى خيبر [4] ، وكان غلاماً راهق الحلم ، أي إن صحبته له بقدر صحبة أبي هريرة ، فهل يغاب عليه إكثاره مع أنه كان صغيراً ؟ فان قيل إنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واطلع على أحواله الخاصة ، قلنا : إن أبا هريرة أيضاً كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم ولازمه في بيته ، وفي المسجد والصفة ، والسوق ، كما رأينا .

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/٣٧٦

(٢) الانوار الكاشفة ص ١٤١

(٣) ١/٩٨

(٤) البخاري ٤/٤٣

وهذا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه ، أكثر أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مع أنه لم يقدم عليه إلا مع صحبه الأشعريين أيام خيبر [1] ، أي في نفس الأيام التي قدم فيها أبو هريرة ، فمدة صحبتهما واحدة .

* * *

وإذن ، فان هذه الحقائق تجعلنا نقطع بصواب جرأة أبي هريرة على التحديث بعد إذ رأى القتل قد استحر في الصحابة ، واستهلكتهم الفتوح ، أو الفتن ، أو اعمال الدولة ، في الحين الذي كان هو بعيداً عن الفتن ، بعيداً عن أعمال الدولة ، بعيداً عن أكثر معارك الفتوح ، معتقداً بأنه يسعه ما وسع بعض أفاضل الصحابة الذين رابطوا في عاصمة الدولة أو في الأمصار الجديدة معلمين ومبلغين ومنذرين .

بل يمكن أن يقال إن أبا هريرة ما كان مخالفاً لمذهب عمر في الإقلال ، اذ وجهه أبو عبيد فقال : (في قوله : أقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبين لك أنه لم يرد بتجريد القرآن ترك الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ، وقد رخص في القليل منه ، وهذا يبين لك أنه لم يأمر بترك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنه أراد عندنا علم أهل الكتب ، للحديث الذي سمع من النبي عليه السلام فيه حين قال : أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب ؟ ومع هذا فانه كان يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بحديث كثير .) [2] .

فهو يريد أن لا تقرأ التوراة معه .

ومثله قول ابن مسعود : جردوا القرآن .

قال أبو عبيد : (قد ذهب به كثير من الناس إلى أن يتعلم وحده ويترك الأحاديث ، وليس لهذا عندي وجه ، وكيف يكون عبدالله أراد هذا وهو يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بحديث كثير .) [3] ، لكنه (أراد بقوله جردوا القرآن : أنه حثهم على أن لا يُتَعَلّم شيء من كتب الله غيره ، لأن ما خلا القرآن من كتب الله يؤخذ عن اليهود والنصارى ، وليسوا بمأمونين عليها .) [4] .

ثم إن الإكثار إذا أوقع صاحبه في زيادة لفظ أو نقصان لفظ فليس ذلك مما يوجب ترك التحديث وكتم العلم والانزواء ، وغاية ما أنكروه على أبي هريرة آنذاك زيادات أو نقصان ليس إلا ، ورضي الله تعالى عن واثلة بن الأسقع إذ يقول له بعض أصحابه : (حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيه زيادة ولا نقصان . فغضب وقال : إن مصحف أحدكم معلق في بيته وهو يزيد وينقص .)[5] ، وفي لفظ : (فغضب واثلة وقال : المصاحف تجددون النظر فيها بكرة وعشياً وأنكم توهمون وتزيدون وتنقصون .) [6] ، أي في حفظ

---

(١) البخاري ٤/١١٠

(٢) غريب الحديث لابي عبيد ٤/٤٩ ، والتهوك هو التحير .

(٣) (٤) غريب الحديث ٤/٤٧/٤٨

(٥) المستدرك ٢/٢١٢ بسند صحيح أقره الذهبي

(٦) مشكل الآثار ١/٣١٦

القرآن ، فكيف بالحديث المحفوظ في الصدور في قلب رجل واحد لا في قلوب كل الأمة ؟ وهي حجة قوية من واثلة في تبرير الزيادة والنقصان ، فان لم يتقن أبو هريرة الحفظ أحياناً فليس ذلك بعيب كبير يسوغ ترك حديثه . نقول هذا تنازلاً وجدلاً ، وإلا فلا نجد للصحابة مخالفات لما يرويه أبو هريرة ، سوى مخالفات يسيرة كان الصواب فيها معه ، وكان من خالفه متعسفاً ، كحيان الأزدي حين أخبره مخبر أن أبا هريرة يقول إن الصلاة الوسطى هي العصر ، فقال : (إن أبا هريرة يكثر ، إبن عمر يقول : هي الصبح .) [1] ، بينما نجد علي بن أبي طالب ، وحفصة وأم سلمة وعائشة ، أمهات المؤمنين ، وابن عباس ، وسمرة بن جندب ، وأبي بن كعب ، رضي الله عنهم ، وكثرة من التابعين ، يوافقون أبا هريرة في أنها العصر [2] ، ولم يخالفه الا عدد أقل من هؤلاء ، مما يدل على أن كونها العصر أرجح ، ورجحها البخاري .

من هنا لم يأذن أبو هريرة لنفسه أن يقف موقف الاقلال الذي وقفه بعض الصحابة ، بل راح يعتد بنفسه ، ويشيد بحفظه ، كما مر معنا .

والحقيقة أن أبا هريرة لم يكن هو الوحيد الذي يشيد بنفسه هكذا ، وإنما هم رهط من الصحابة وثقوا بأنفسهم فجرأوا ، كهشام بن عامر ، وأنس ، مع ما قيل في إقلال أنس .

فعن أبي الدهماء ، وأبي قتادة قالا : (كنا نمر على هشام بن عامر نأتي عمران ابن حصين ، فقال ذات يوم : إنكم لتجاوزوني إلى رجال ما كانوا بأحضر لرسول الله صلى الله عليه وسلم مني ، ولا أعلم بحديثه مني .) [3] .

وعن ثابت البناني قال : (قال أنس : يا أبا محمد : خذ عني ، فاني أخذت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل ، ولن تأخذ عن أحد أوثق مني .) [4] .

فليس أبو هريرة بمبتدع اذن إن أشاد بحفظه ، خصوصاً وأنه قد تأيد حفظه بالألفاظ الكثيرة ، التي يوافقه على روايتها عشرات الصحابة ، مما هو في دواوين الحديث ، وبالامتحان والاختبار الذي أجراه له مروان ورواه أبو الزعيزعة كاتب مروان . قال : (بعث مروان إلى أبي هريرة وأجلسني من وراء الستر ، فجعل يسأله وأنا أكتب ، حتى كتبت حديثاً كثيراً ، فتركه سنة ثم أرسل اليه وأجلسني من وراء الستر ، فجعل يسأله وأنا أنظر في الكتاب ، فما زاد ولا نقص .) [5] ، (ولا قدم ولا أخر .) [6] .

---

(١) (٢) مصنف ابن ابي شيبة ٢/٥٠٥

(٣) مسلم ٨/٢٠٧ ، مسند أحمد ٤/١٩

(٤) المستدرك ٣/٥٧٤

(٥) الكنى للبخاري ص ٣٣

(٦) المستدرك ٣/٥١٠ بسند صحيح .